

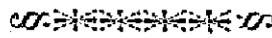
مصائبنا بالزهرراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهرراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبيين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرأى ، واستنفدت الدموع من المهاجر ، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهرراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة ، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبفقدتها تسقط في مهاوي العدم نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا ، وتربي كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون المصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معنا فيه هذان الصديقان الكريمان ، وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهرراوي قد تفرس بالسياسة في حدائته فغلبته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده اياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة اياه عضوا في مجلس الاغنيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آله لاجل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديمته وخدمته العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفيذ ما قرره الجمعية من قبل من التشكيل

بالعرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه
 وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي
 مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما
 اختبر له من جعله شيخنا للاسلام في جزائر الفيليين ، وكان يتقي شر السياسة بالمفازاة
 حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيليين تجاهل مهرة المنار وصاحبه ، وهو
 على مذهبه الاصلاحى ومشربه ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ،
 وكان الخديو مفضيا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان
 يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من
 مصر ، وانه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يعلمه من قبل .
 وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .



مسألة الأزياء والعادات

من مشخصات الامم

زى الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما
 تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها ، فالعلم لا يحترم لشكاه ولا لوانه أو ألوانه ، وليس من
 العقل ولا من الحكمة أن تدم الاعلام أو تمدح لشكاه أو ألوانها ، وكذلك أزياء الامم
 من حيث هي أزيؤها ، ولكن بين الزى والعلم فرقا واحدا وهو أن الزى يقصده من
 المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما
 يكن شكاه ووانه وصفته فانهما يقترقان في أن بعض الأزياء لا تفني بما يقصد بها من
 وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية
 والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الأزياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن
 هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وإنما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبارها
 وحكامها ، وإنما يعنى بالذوق والجمال في الزى النساء وهن في كل أمة يستحدثن

زيا جديدا يطلن به ما كان قبله مستحسننا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لانخفي ، ويقابل ربح هؤلاء من الأزياء خسارة المسرفات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف من أكبر جنائيات الافراد على أمتهم أن يحترم أحد منهم زيا ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يثبت في الامة الشهور بمهاتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبدا في المنار اذ طرقتنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالأغنياء المتفرنجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومارب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعا فرنجيا فطردا منه لانهما معمان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلهما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فاننا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمواكلة الافرنج في مطاعمهم ، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرقى الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحتمرون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم ، ويكونون آله لا يضاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما يشمر به غيرهم . ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الإسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها (١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرجين في نفس الأفرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوماتها أو مشخصاتها بإزاء احترام ما يقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمة هو ما يكن رأي المحقر وقصده ، ومن ذلك ان لا يأكل احد من المصريين في مطعم يهين اصحابه مصرياً ازيه أو عاداته أو غير ذلك ، ولا ان يشتروا شيئاً من تاجر يهين مصرياً ، ويجب على أمثال هؤلاء ان يبذلوا جهودهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإغنائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وانما يتيسر هذا بتعاقد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تهتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أنني دخلت مطعماً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهرى ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر انيه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر منشل أنس الذي كان وكيلاً لنظارة المالية

وقتئذ فالتاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة
المدنية كلفه فيه ان يارمه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسه وعدت راضيا مكرما
ولا يخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها
لا يقصر هذا التفريخ الذي قدمه ولا يأتي من طريقة بل ينافيه، لان التفريخ تقليد
في الآرية واعادات يحدث اتفرق في الأمة والحلال روابطها، واقتباس العلم النافع
والعمل الرافع يجب ان يكون بطريق الاستقلال لا التقليد، وان تراعى فيه حاجة
الأمة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم ترهؤلاء المتفرجين من الترك
والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية، بل هم الذين نسفوا ثروة
بلادهم وقطموا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران
إلا وقد كان يعمل الأجانب ومعظم فائدته لهم، وانما سار على ذلك شعب اليابان
الذي شرع في اقتباس الفنون الأوربية بعد الترك والمصريين مناه فكان طلاب العلوم
منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب منا العلوم النظرية والسياسية،
وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد
واليك من المبرة هذا المثال: كان بعض الأوربيين والأوربيات مع بعض
اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس، فأنكر عليه ذلك بعض
الأوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعلان مستجن في عاداتهم ولا سيما
حيث يوجد النساء. فقال الياباني: انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية
فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أو قال كلاما بهذا المعنى.
في هذه هي الوطنية لا ما يتشدد به المتفرجون الذين لا يمثلون عاقبة ما يأتون وما يدعون
قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين - وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا
وبحاجتنا الى علمهم - لا يعد احتقارا للأمة بل اصلاحا، ونقول أيضا اننا في
حاجة الى الإصلاح في كثير من الامداد الضارة، وأن ذلك لا يعد احتقارا
للأمة وطالما كتبنا في ذلك. ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات
والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الإصلاح على شريعتنا وهي
أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب